

## تفسير ابن كثير

هذه العشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين بها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله تعالى براءتها ميابة لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : { إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم } أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوه آخرون منهم وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمرا عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقار وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبراها الله تعالى وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت لها اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا ذكروا أن عائشة بها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : [ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتها خرج سهتما خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة بها : فأقرع بيننا في غزوة غزاهما فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسirنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة وقف ودونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكِر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وطننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي فبینا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمّت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتايني فعرفني حين رأني وقد كان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاجه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي وأنا ما كلامي كلمة ولا سمعت منه كلمة غير

استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدهما نزلوا موجرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأنى وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكى حين قدمناها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يرني في وحى أنى لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي أرى منه حين أشتكي إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ؟ فذلك الذي يرني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نفدت وخرجت معى أم مسطح قبل المناسع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه في البرية وكنا نتأذى بالكنف لأن نتخذها في بيتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر حالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح فقلت لها : بئسما قلت تسبين رجلا شهد بدرأ ؟ فقالت : أي هنـاه ألم تسمعـي ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازدادت مرضـا إلى مرضـي فلما رجـعت إلى بيـتي دخل عليـ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيـكم ؟ فقلـت له : أتأذـن ليـ أن آتـيـ أبيـ ؟ قـالت : وأـناـ حـيـنـئـدـ أـرـيدـ أـتـيـقـنـ الـخـبـرـ مـنـ قـبـلـهـماـ فـأـذـنـ لـيـ رـسـولـ اللهـ صلى اللهـ عليهـ وـسـلـمـ فـجـئـتـ أـبـوـيـ فـقـلـتـ لـأـمـيـ : ياـ أـمـتـاهـ ماـ يـتـحدـثـ النـاسـ بـهـ ؟ـ قـالـتـ :ـ أيـ بـنـيـ هـوـنـيـ عـلـيـكـ فـوـ اللهـ لـقـلـماـ كـانـتـ اـمـرـأـ قـطـ وـضـيـئـةـ عـنـدـ رـجـلـ يـحـبـهـ وـلـهـ ضـرـائـرـ إـلـاـ أـكـثـرـ عـلـيـهـاـ قـالـتـ :ـ فـقـلـتـ سـبـحـانـ اللهـ أـوـقـدـ تـحدـثـ النـاسـ بـهـ فـبـكـيـتـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ لـاـ يـرـقـأـ لـيـ دـمـعـ وـلـاـ أـكـتـحلـ بـنـوـمـ ثـمـ أـصـبـحـتـ أـبـكـيـ قـالـتـ :ـ فـدـعـاـ رـسـولـ اللهـ صلى اللهـ عليهـ وـسـلـمـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ وـأـسـامـةـ بنـ زـيـدـ حـيـنـ استـلـبـتـ الـوـحـيـ وـيـسـتـشـيرـهـماـ فـيـ فـرـاقـ أـهـلـهـ قـالـتـ :ـ فـأـمـاـ أـسـامـةـ بنـ زـيـدـ فـأـشـارـ عـلـيـ رـسـولـ اللهـ صلى اللهـ عليهـ وـسـلـمـ بـالـذـيـ يـعـلـمـ مـنـ بـرـاءـةـ أـهـلـهـ وـبـالـذـيـ يـعـلـمـ فـيـ نـفـسـهـ لـهـمـ مـنـ الـودـ فـقـالـ أـسـامـةـ :ـ يـاـ رـسـولـ اللهـ هـمـ أـهـلـكـ وـلـاـ نـعـلـمـ إـلـاـ خـيـرـاـ وـأـمـاـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ فـقـالـ :ـ يـاـ رـسـولـ اللهـ لـمـ يـضـيقـ اللهـ عـلـيـكـ وـالـنـسـاءـ سـوـاـهـ كـثـيرـ وـإـنـ تـسـأـلـ الـجـارـيـةـ تـصـدـقـكـ الـخـبـرـ قـالـتـ :ـ فـدـعـاـ رـسـولـ اللهـ صلى اللهـ عليهـ وـسـلـمـ بـرـيـرةـ فـقـالـ :ـ أيـ بـرـيـرةـ هـلـ رـأـيـتـ مـنـ شـيـءـ يـرـبـيـكـ مـنـ عـائـشـةـ ؟ـ فـقـالـتـ لـهـ بـرـيـرةـ :ـ وـالـذـيـ بـعـثـكـ بـالـحـقـ إـنـ رـأـيـتـ مـنـهـ أـمـراـ قـطـ أـغـمـصـهـ عـلـيـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ جـارـيـةـ حـدـيـثـةـ السـنـ تـنـامـ عـنـ عـيـنـ أـهـلـهـ فـتـأـكـلـهـ فـقـامـ رـسـولـ اللهـ صلى اللهـ عليهـ وـسـلـمـ مـنـ يـوـمـهـ فـاستـعـذـرـ مـنـ عـبـدـ اللهـ صلى اللهـ عليهـ وـسـلـمـ اـبـنـ سـلـولـ قـالـتـ :ـ فـقـالـ رـسـولـ اللهـ صلى اللهـ عليهـ وـسـلـمـ وـهـ عـلـىـ الـمـنـبـرـ يـاـ مـعـشـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ يـعـذـرـنـيـ مـنـ رـجـلـ قـدـ بلـغـنـيـ أـذـاهـ فـيـ أـهـلـيـ فـوـ اللهـ ماـ عـلـمـتـ عـلـىـ أـهـلـيـ إـلـاـ خـيـرـاـ وـلـقـدـ ذـكـرـواـ رـجـلـ ماـ عـلـمـتـ عـلـيـهـ إـلـاـ خـيـرـاـ وـمـاـ كـانـ يـدـخـلـ عـلـىـ أـهـلـيـ إـلـاـ مـعـيـ فـقـامـ سـعـدـ بـنـ مـعـاذـ الـأـنـصـارـيـهـ فـقـالـ :ـ يـاـ أـعـذـرـكـ مـنـ يـاـ رـسـولـ اللهـ إـنـ كـانـ مـنـ الـأـوـسـ ضـرـبـنـاـ عـنـقـهـ وـإـنـ كـانـ مـنـ إـخـوانـنـاـ مـنـ الـخـرـجـ أـمـرـتـنـاـ فـفـعـلـنـاـ

بأمريك قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحًا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ : لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت ! لعمر الله لنقتلنـه فإـنك منافق تجادل عن المناـقـين فـثـاـورـ الـحـيـانـ : الأـوـسـ وـالـخـزـرـجـ حتـىـ هـمـواـ أـنـ يـقـتـلـواـ وـرـسـوـلـ اللهـ قـائـمـ عـلـىـ المـنـبـرـ فـلـمـ يـزـلـ رـسـوـلـ اللهـ يـخـفـضـهـمـ حتـىـ سـكـتـواـ وـسـكـتـ رـسـوـلـ اللهـ قالـتـ : وـبـكـيـتـ يـوـمـيـ ذـلـكـ لـاـ يـرـقـأـ لـيـ دـمـعـ وـلـاـ أـكـتـحـلـ بـنـوـمـ وـأـبـوـايـ يـطـنـانـ أـنـ الـبـكـاءـ فـالـقـ كـبـدـيـ قالـ : فـبـيـنـماـ هـمـاـ جـالـسـانـ عـنـدـيـ وـأـنـاـ أـبـكـيـ اـسـتـأـذـنـتـ عـلـىـ اـمـرـأـةـ مـنـ الـأـنـصـارـ فـأـذـنـتـ لـهـ فـجـلـسـ تـبـكـيـ مـعـيـ فـبـيـنـاـ نـحـنـ عـلـىـ ذـلـكـ إـذـ دـخـلـ عـلـيـنـاـ رـسـوـلـ اللهـ فـسـلـمـ ثـمـ جـلـسـ قـالـتـ : وـلـمـ يـجـلـسـ عـنـدـيـ مـنـذـ قـيـلـ ماـ قـيـلـ وـقـدـ لـبـثـ شـهـرـاـ لـاـ يـوـحـيـ إـلـيـهـ فـيـ شـأـنـيـ شـيـءـ قـالـتـ : فـتـشـهـدـ رـسـوـلـ اللهـ ثـمـ قـالـ أـمـاـ بـعـدـ يـاـ عـائـشـةـ فـإـنـهـ قـدـ بـلـغـنـيـ عـنـكـ كـذـاـ وـكـذـاـ فـإـنـ كـنـتـ بـرـيـئـهـ فـسـيـبـرـئـكـ اللهـ وـإـنـ كـنـتـ أـلـمـمـ بـذـنـبـ فـاسـتـغـفـرـيـ اللهـ ثـمـ تـوـبـيـ إـلـيـهـ فـإـنـ العـبـدـ إـذـ اـعـتـرـفـ بـذـنـبـ ثـمـ تـابـ تـابـ اللهـ عـلـيـهـ قـالـتـ : فـلـمـ قـضـىـ رـسـوـلـ اللهـ مـقـالـتـهـ قـلـصـ دـمـعـيـ حتـىـ مـاـ أـحـسـ مـنـهـ قـطـرـةـ فـقـلـتـ لـأـبـيـ : أـجـبـ عـنـيـ رـسـوـلـ اللهـ فـقـالـ وـاـ ماـ أـدـرـيـ ماـ أـقـولـ لـرـسـوـلـ اللهـ فـقـلـتـ لـأـمـيـ أـجـبـيـ عـنـيـ رـسـوـلـ اللهـ فـقـالـتـ : وـاـ ماـ أـدـرـيـ ماـ أـقـولـ لـرـسـوـلـ اللهـ قـالـتـ : فـقـلـتـ وـأـنـاـ جـارـيـةـ حـدـيـثـ السـنـ لـاـ أـحـفـظـ كـثـيـراـ مـنـ الـقـرـآنـ وـاـ لـقـدـ عـرـفـتـ أـنـكـمـ قـدـ سـمـعـتـ بـهـذـاـ الـحـدـيـثـ حتـىـ اـسـتـقـرـ فـيـ أـنـفـسـكـمـ وـصـدـقـتـ بـهـ وـلـئـنـ قـلـتـ لـكـمـ إـنـيـ بـرـيـئـهـ وـاـ بـلـعـمـ أـنـيـ بـرـيـئـهـ لـاـ تـصـدـقـونـنـيـ بـذـلـكـ وـلـئـنـ اـعـتـرـفـ بـأـمـرـ وـاـ بـلـعـمـ أـنـيـ بـرـيـئـهـ لـتـصـدـقـنـيـ وـإـنـيـ وـاـ مـاـ أـجـدـ لـيـ وـلـكـمـ مـثـلاـ إـلـاـ كـمـاـ قـالـ أـبـوـ يـوـسـفـ {ـ فـصـبـرـ جـمـيلـ وـاـ الـمـسـتعـانـ عـلـىـ مـاـ تـصـفـونـ }ـ قـالـتـ : ثـمـ تـحـولـتـ فـاضـطـجـعـتـ عـلـىـ فـرـاشـيـ قـالـتـ : وـأـنـاـ وـاـ حـيـنـئـذـ أـعـلـمـ أـنـيـ بـرـيـئـهـ وـأـنـ اللهـ تـعـالـىـ مـبـرـئـيـ بـبـرـاءـتـيـ وـلـكـنـ وـاـ مـاـ كـنـتـ أـطـنـ أـنـ يـنـزـلـ فـيـ شـأـنـيـ وـحـيـ يـتـلـيـ وـلـشـأـنـيـ كـانـ أـحـقـ فـيـ نـفـسـيـ مـنـ أـنـ يـتـكـلـمـ اللهـ فـيـ بـأـمـرـ يـتـلـيـ وـلـكـنـ كـنـتـ أـرـجـوـ أـنـ يـرـىـ رـسـوـلـ اللهـ فـيـ النـوـمـ رـؤـيـاـ يـبـرـئـنـيـ اللهـ بـهـاـ قـالـتـ : فـوـاـ مـاـ رـامـ رـسـوـلـ اللهـ مـجـلسـهـ وـلـاـ خـرـجـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ أـحـدـ حتـىـ أـنـزـلـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ نـبـيـهـ فـأـخـذـهـ مـاـ كـانـ يـأـخـذـهـ مـنـ الـبـرـحـاءـ عـنـدـ الـوـحـيـ حتـىـ إـنـهـ لـيـتـحدـرـ مـنـهـ مـثـلـ الـجـمـانـ مـنـ الـعـرـقـ وـهـوـ فـيـ الـيـوـمـ الشـاتـيـ مـنـ ثـقـ القـوـلـ الـذـيـ أـنـزـلـ عـلـيـهـ قـالـتـ : فـلـمـ سـرـيـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ وـهـوـ يـضـحـكـ فـكـانـ أـوـلـ كـلـمـةـ تـكـلـمـ بـهـاـ أـنـ قـالـ أـبـشـرـيـ يـاـ عـائـشـةـ أـمـاـ اللهـ فـقـدـ بـرـأـكـ قـالـتـ : فـقـالـتـ لـيـ أـمـيـ : قـوـمـيـ إـلـيـهـ فـقـلـتـ : وـاـ لـاـ أـقـومـ إـلـيـهـ وـلـاـ أـحـمـدـ إـلـاـ اللهـ هوـ الـذـيـ أـنـزـلـ بـرـاءـتـيـ وـأـنـزـلـ اللهـ {ـ إـنـ الـذـيـنـ جـاؤـواـ بـالـإـلـفـ عـصـبـةـ مـنـكـ }ـ الـعـشـرـ آـيـاتـ كـلـهاـ فـأـنـزـلـ اللهـ هـذـهـ الـآـيـاتـ فـيـ بـرـاءـتـيـ قـالـتـ : فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ اللهـ وـكـانـ يـنـفـقـ عـلـىـ مـسـطـحـ بـنـ أـثـاثـ لـقـرـابـتـهـ مـنـهـ وـفـقـرـهـ : وـاـ لـاـ أـنـفـقـ عـلـىـهـ شـيـئـاـ أـبـداـ بـعـدـ الـذـيـ قـالـ لـعـائـشـةـ فـأـنـزـلـ اللهـ تـعـالـىـ {ـ وـلـاـ يـأـتـلـ أـوـلـوـ الـفـصـلـ مـنـكـ وـالـسـعـةـ أـنـ يـؤـتـوـ أـوـلـيـ الـقـرـبـىـ وـالـمـساـكـىـنـ وـالـمـهـاجـرـينـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ وـلـيـعـفـوـاـ وـلـيـصـفـحـوـاـ أـلـاـ تـحـبـوـنـ أـنـ يـغـفـرـ اللهـ لـكـمـ وـاـ غـفـورـ رـحـيمـ }ـ فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ : وـاـ إـنـيـ لـأـحـبـ أـنـ يـغـفـرـ اللهـ لـيـ فـرـجـ

إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : وَمَا لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبْدًا .

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمره فقال لها زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري وَمَا لَمْ يَعْلَمْ إِلَّا خَيْرًا قالت عائشة : وهي التي كانت تسامي من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط [أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث الزهرى وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهرى كذلك قال : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أنها وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن عمرة عن عائشة بنحو ما تقدم وَمَا أَعْلَمْ . ثم قال البخاري وقال أبوأسامة عن هشام بن عروة قال : أخبرني أبي عن عائشة أنها قالت : لما ذكر من شأنى الذي ذكر وما علمت به [ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطيباً فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال : أما بعد أشيروا على في أناس أبنوا أهلي وأيم الله ما علمت على أهلي إلا خيراً وما علمت على أهلي من سوء وأبنوهم بمن وَمَا لَمْ يَعْلَمْ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قُطْ وَلَا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر ولا غبت في سفر إلا غاب معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله أئذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال : كذبت أمما وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْأَوْسَ مَا أَحَبَّتِ أَنْ تَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَرْجِ شَرًّا فِي الْمَسْجِدِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءً ذَلِكَ الْيَوْمَ خَرَجَتْ لِي عَاجِتِي وَمَعِي أَمْ مَسْطَحَ فَعَثَرَتْ فَقَالَتْ : تَعَسْ مَسْطَحَ فَقَلَتْ لَهَا : أَيْ أَمْ تَسْبِينِ ابْنَكَ ؟ فَسَكَتَتْ ثُمَّ عَثَرَتْ الثَّانِيَةُ فَقَالَتْ : تَعَسْ مَسْطَحَ فَقَلَتْ لَهَا أَيْ أَمْ تَسْبِينِ ابْنَكَ ؟ ثُمَّ عَثَرَتْ الثَّالِثَةُ فَقَالَتْ : تَعَسْ مَسْطَحَ فَأَنْتَهَرَتْهَا فَقَالَتْ : وَمَا أَسْبَهَ إِلَّا فِيكَ فَقَلَتْ : فِي أَيْ شَأنِي ؟ قَالَتْ : فَبَقَرْتَ لِي الْحَدِيثَ فَقَلَتْ : وَقَدْ كَانَ هَذَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ وَمَا فَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي كَأَنَّ الَّذِي خَرَجْتَ لَهُ لَا أَجِدُ مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا وَوَعَكْتَ وَقَلْتَ لِرَسُولِ اللهِ أَرْسَلْنِي إِلَى بَيْتِ أَبِي فَأَرْسَلْتَ مَعِي الْغَلامَ فَدَخَلَتِ الدَّارَ فَوَجَدَتْ أَمَّ رُومَانَ فِي السَّفْلِ وَأَبَا بَكْرَ فَوَقَّعَ الْبَيْتَ يَقْرَأُ فَقَالَتْ أَمَّ رُومَانَ : مَا جَاءَ بِكَ بَنِيَةً فَأَخْبَرَتْهَا وَذَكَرَتْ لَهَا الْحَدِيثَ وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مِثْلَ مَا بَلَغَ مِنِي فَقَالَتْ : يَا بَنِيَةَ خَفَفْتُ عَلَيْكَ الشَّأْنَ إِنَّهُ وَمَا لَقِلَّ مَا كَانَتْ أَمْرَأَةُ حَسَنَاءُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرٌ إِلَّا حَسَدَنَاهَا وَقَيْلَ فِيهَا فَقَلَتْ : وَقَدْ عَلِمْتُ بِهِ أَبِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ قَلَتْ : وَرَسُولُ اللهِ أَمَّ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ وَرَسُولُ اللهِ أَمَّ فَاسْتَعْبَرَتْ وَبَكَتْ فَسَمِعَ أَبُو بَكْرَ صَوْتَهُ وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ فَنَزَلَ فَقَالَ لَأُمِّي : مَا شَأْنَهَا ؟ قَالَتْ : بَلَغَهَا الْذِي ذَكَرَ مِنْ شَأْنِهَا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ - أَيْ بَنِيَةَ - إِلَّا رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِكَ فَرَجَعْتَ وَلَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ أَمَّ بَيْتِي فَسَأَلَ عَنِي خَادِمِي فَقَالَتْ : لَا وَمَا لَمْ يَعْلَمْ عَلَيْهَا عَيْبًا إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقَدْ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاهَ فَتَأْكُلَ خَمِيرَهَا أَوْ عَجِينَهَا وَأَنْتَهُرَهَا بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَصْدَقَنِي رَسُولُ اللهِ أَمَّ حَتَّى أَسْقَطُوهَا لَهَا بِهِ فَقَالَتْ : سَبَحَانَ اللهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْ عَلَيْهَا إِلَّا مَا

يعلم الصائغ عن تبر الذهب الأحمر وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال : سبحان الله ما كشفت كنف أنشى قط .

قالت عائشة بنت أبي طالب : فقتل شهيدا في سبيل الله قال : وأصبح أبويا عندي فلم يزلا حتى دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اكتنفي أبويا عن يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءا أو ظلمت فتوب إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده قال : وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة بالباب فقلت : ألا تستحيي من هذه المرأة أن تذكر شيئا ؟ فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أجبه قال : فماذا أقول ؟ فالتفت إلى أمي فقلت : أجيبيه قال : ماذا أقول ؟ فلما لم يجيبها تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهلها ثم قلت : أما بعد فواه إن قلت لكم إني لم أفعل والله يشهد أنني لصادقة ما ذاك بنا فهي عندكم لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم وإن قلت لكم إني قد فعلت والله يعلم أنني لم أفعل لتقولن قد باعكم به على نفسها وإنني والله ما أجد لي ولهم مثلا والتمس اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبو يوسف حين قال { فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون } وأنزل الله على رسوله من ساعته فسكننا فرفع عنه وإنني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول : أبشر يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قال : وكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبويا : قومي إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحدهه ولا أحده كما ولكن الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه مما أنكرتموه ولا غيرتموه . وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فقد عصمتها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما أختها حمنة بنت جحش فهلكت فيمن هلك وكان الذي يتكلم به مسطح وحسان بن ثابت وأما المناق عبد الله بن أبي ابن سلول وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة قالت : وحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنا فعنة أبدا فأنزل الله تعالى { ولا يأتل أولو الفضل منكم } يعني أبو بكر { والwsعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين } يعني مسطحا إلى قوله { إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم } فقال أبو بكر : بل والله يا ربنا إننا لنحب أن تغفر لنا وعاد له بما كان يصنع ] هكذا رواه البخاري من هذا الوجه معلقا بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة أحد الأئمة الثقات وقد رواه ابن جرير في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبي أسامة به مطولا مثله أو نحوه رواه ابن حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة ببعضه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم أخبرنا عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة بنت أبي طالب قال : لما نزل عذري من السماء [ جاءني النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني بذلك فقلت : نحمد الله لا نحمدك ] وقال الإمام أحمد : حدثني ابن أبي عدي عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة أيضا عن عائشة قالت : لما نزل عذري [ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر

برجلين وامرأة فضربوا حدهم [ وأخرجه أهل السنن الأربع وقال الترمذى : هذا حديث حسن وقع عند أبي داود تسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة بها في المسانيد والصحاب والسنة وغيرها .

وقد روى من حديث أمها أم رومان بها فقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عامر أخبرنا حصين عن أبي وايل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة إذ دخلت علينا امرأة من الأنصار فقالت : فعل أ بابنها وفعل فقالت عائشة : ولم ؟ قالت : إنه كان فيمن حديث الحديث قال : وأي الحديث ؟ قالت : كذا وكذا قالت : وقد [ بلغ ذلك رسول أ ] ؟ قالت : نعم قالت : وبلغ أبا بكر ؟ قالت : نعم فخرت عائشة بها مغشيا عليها فما أفاقت إلا وعليها حمى بنا فقمت فدثرتها قالت : فجاء النبي أ قال وما شأن هذه ؟ فقلت : يا رسول أ أخذتها حمى بنا فمضى قال فلعله في حديث تحدث به قالت : فاستوت له عائشة قاعدة فقالت : أ لئن حلفت لكم لا تصدقوني ولئن اعتذرتم إليكم لا تعذروني فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال : { فصبر جميل أ المستعان على ما تصفون } قالت : فخرج رسول أ وأنزل أ عذرها فرجع رسول أ ومعه أبو بكر فدخل فقال : يا عائشة إن أ تعالى قد أنزل عذرك قالت : بحمد أ لا بحمدك فقال لها أبو بكر : تقولين هذا لرسول أ ؟ قالت : نعم قالت : فكان فيمن حديث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر فلطف أن لا يصله فأنزل أ { ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعفة } إلى آخر الآية فقال أبو بكر : بلى فوصله [ تفرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين .

وقد رواه البخاري عن موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين به : وفي لفظ أبي عوانة حدثتني أم رومان وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي أ قال الخطيب : وقد كان مسروق يرسله فيقول : سئلت أم رومان ويسوقة فلعل بعضهم كتب سئلت بألف اعتقاد الرواية أنها سألت فطنه متصلًا قال الخطيب : وقد رواه البخاري كذلك ولم تظهر له علته كذا قال أ أعلم .

فقوله تعالى : { إن الذين جاؤوا بالإفك } أي بالكذب والبهتان والافتراء { عصبة } أي جماعة منكم { لا تحسيوه شرا لكم } أي يا آل أبي بكر { بل هو خير لكم } أي في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة وإظهار شرف لهم باعتناء أ تعالى بعائشة أم المؤمنين بها حيث أنزل أ براءتها في القرآن العظيم { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه } الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس ه وعنها وهي في سياق الموت قال لها : أبشرني فإنه زوجة رسول أ وكان يحبك ولم يتزوج بكرًا غيرك وأنزل براءتك من السماء . وقال ابن جرير في تفسيره : حدثني محمد بن عثمان الواسطي حدثنا جعفر بن عون عن المعلى

بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاخرت عائشة وزينب هما فقالت زينب : أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة : أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملني صفوان بن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب : يا عائشة ما قلت حين ركبتيها ؟ قالت : قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت : قلت كلمة المؤمنين .

وقوله تعالى : { لكل امرء منهم ما اكتسب من الإثم } أي لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة بها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب { والذى تولى كبره منهم } قيل ابتدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشه ويذيعه ويشيشه { له عذاب عظيم } أي على ذلك ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي ابن سلول قبحه الله تعالى ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد وقيل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولو لا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب وما ثر وأحسن ما ثر أنه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجهم وجبريل معاً [ وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : كنت عند عائشة بها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقى له وسادة فلما خرج قلت لعائشة : ما تصنعين بهذا ؟ يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها : أتأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله تعالى { والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم } قالت : وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت إنه كان ينافق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس شاعرها بـ :

( حسان رزان ما تزن بربيبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ) .

فقالت : أما أنت فلست كذلك وفي رواية لكنك لست كذلك وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن قزعة حدثنا سلمة بن علقمة حدثنا داود عن عامر عن عائشة أنها قالت : ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به إلا رحوت له الجنة قوله لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

( هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعندي الله في ذاك الجزاء ) .

( فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء ) .

( أتشتمه ولست له بكفاء ؟ ... فشركما لخيركما الفداء ) .

( لسانى صارم لا عيب فيه ... وبحرى لا تقدره الدلاء ) .

فقيل : يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا ؟ قالت : لا إنما اللغو ما قيل عند النساء قيل : أليس الله يقول { والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم } قالت : أليس قد أصابه عذاب عظيم ؟ أليس قد ذهب بصره وكعن بالسيف ؟ تعنى الصربة التي ضربه إياها صفوان بن المعطل السلمي حين بلغه عنه أنه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله